بسم الله الرحمن الرحيم

الدروس الفوائد ... في استشهاد القائد

الدرس الثالث والعشرين

(القيمة العليا)

جومرد حقي إسماعيل

لقد خلق الله الإنسان وكرّمه بالعقل الذي يميز به ما بين الحق والباطل وبين ما هو خبيث وطيب ، ويجوز لنا أن نقول التمييز ما بين الصح والخطأ ، ولذلك ، فإن من لا يميز بين هذه الأمور يكون قد اختل عقله أو سلب بتأثير خارجي وما إلى ذلك من الأسباب ، وللإنسان قيم تُحيط به ويتعامل معها ومن تلك القيم ما يُقاس به معيار الرجولة ، بل وأن القدرة على تصنيف تلك القيم بحسب أولوياتها لا يدركها

إلا الرجال ويسمو التعامل مع تلك القيم عند خصوص الخصوص من الرجال ، ولنا في ذلك قول الله تعالى { مِنَ الْمُؤمنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا اللهَ عَليه } ، فالمؤمنون هم أهل الصلاح وأهل الحفاظ على العقيدة والقيم والعمل بها وهم خصوص الناس ، فجعل الله منهم خصوص الخصوص الذي ارتقوا في مراتب الإيمان وثبتت قلوبهم على طاعته وما عاهدوه عليه .

ومن تلك القيم ، الكرم ، الشجاعة ، الشهامة ، الزهد ، الفروسية ، الإخاء ، الثبات العقائدي ، الشرف ، الغيرة ، الوطن (الأرض) ، الإنسانية ، التراحم ، التوادد ، العدالة ، وما إلى ذلك من القيم التي تحدد رقي الإنسان إذا ما حافظ عليها أو تدنيه إذا ما أهملها كلاً أو بعضاً ، ونجد أن خصوص خصوص الرجال هم الموصوفون بجملة تلك القيم التي لا تُغادر مكنونهم الشخصي وفعل حضورهم بين الناس .

لقد روي أن جبريل عليه السلام جاء لأحد أنبياء الله وقال له : السلام يقرئك السلام ويقول " أعطيتك مالاً وشرفاً وديناً فابقي على اثنين ونأخذ واحدة " ، فقال نبي الله : فليأخذ ماله ، ثم أتاه بعد حين وقال له : السلام يقرئك السلام ويقول "

أبقينا لك ديناً وشرفاً فابقي على واحدة ونأخذ واحدة " ، فقال له نبي الله : فليأخذ دينه ، مالي بالدين من دون الشرف .

هذه الرواية في مدلولات كبيرة على علو قيمة الشرف عند الإنسان ، فحفظ الشرف حفظ لكل القيم الأخرى ويكاد يكون الشرف جامع لكل القيم ، فأنت عندما تصف إنساناً بالشرف فإنك تجمل علو الخصائص القيمية فيه ، والعكس صحيح .

ولو عرضنا حياة القائد الشهيد ، صدام حسين المجيد ، على ما تقدم والقيم التي ذكرناها سنجد أن تلك القيم كانت متجسدة في مكنونه الشخصي وفي حضوره بين الناس فعلاً وتعاملاً ، وكان يمثل خصوص خصوص الرجال في التعامل بها وتمييزها بحسب أولوياتها ، ومن جملة ذلك قوله (الإنسان قيمة عليا ، والوطن هو القيمة العليا) أي أن الإنسانية قيمة بين القيم العليا ، والوطن ينفرد بالقيمة العليا فوق القيم ، ولا يكون ذلك إلا لمن بلغ مراتب الشرف العليا والقيم الإنسانية ، فالأرض (الوطن) يسمو على القيم بسمو معنى الشرف ، ولذلك ، تجد أن أهل الغيرة والشرف يذودون عن أوطانهم لارتباط باقي القيم بمعناه وقد جعل الله مقتلهم دفاعاً عن أرضهم شهادة في سبيله لقول رسول الله ، صلّى الله تعالى عليه وسلّم ((مَن

مات دون ماله فهو شهيدٌ ، ومن مات دون دمهِ فهو شهيدٌ ، ومن مات دون أرضه فهو شهيدٌ)) ، وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ ، أَوْ دُونَ دَمِهِ ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) ، فتدبروا كيف جُعلت الشهادة حال الشريف الذي يُقتل دون القيم ، ومن الطبيعي فإن دفاعك عن الوطن هو دفاع عن العرض والمال والدم وغيرها من القيم الأخرى .

لقد كانت قيادتنا السياسية المجاهدة وعلى رأسها قائدنا الشهيد ، صدام حسين المجيد ، حريصة على بناء شخصية العراقي الجديد الجامع في مكنوناته جملة القيم التي تجعل منه مواطناً صالحاً أبيّاً هميماً ، ذلك هو الإنسان العراقي الذي قاتل الهجمة الصفوية مدافعاً ومتصدياً للأطماع الفارسية المجوسية في أرض العرب فكانوا العراقيون حقاً وتحقيقاً حراساً للبوابة الشرقية للأمّة ، وهو ذلك العراقي الذي بنى وعَمّرَ وطنه العراق وضحى من أجل رفعة العراق ونهوضه بين الأمم ، وهو ذات العراقي الذي يقف اليوم مقاوماً للاحتلالين وزمرة العمالة في حكومة الاحتلال ، هو ذلك العراقي الذي لا يرضى إلا بالعيش الكريم أو الشهادة دون ذلك كله .

لقد قدم القائد الشهيد ، صدام حسين المجيد ، من على منصة الشهادة درساً آخراً لأبناء الأمّة عموماً وشعبه العراقي خصوصاً ، درسٌ مفاده أن الروح ترخص دون

القيم الإنسانية المجسدة لمعاني الرجولة ، وأن الإنسان بجملة قيمه يرتقي في مراتب العناوين السامية فيلتحق بمقامات رموز الأمّة الذين يخلدهم التأريخ وأسفارهم المجيدة والداخلين في قول الله تعالى { مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } .

إن وقفة القائد الشهيد على منصة الشهادة ووجهة المستبشر الباسم لدليل على فلاحه وظفره بالشهادة التي يشتاقها كل مؤمن ومؤمنة أيقن بالخير بما عند الله تعالى فزهد عما في أيدي الخلق ، ودليل على أنه كان مقبلاً على الله وحياة خالدة وذكر خالد في أمّته وشعبه ، وهذا هو حال من حفظ قيمه وثبت بها وعليها .

وعلى هذا حال السمو الروحي يجتمع اليوم شعبه وتجتمع أمّته وجماهير البعث العظيم في وقفتهم الجهادية ضد كل محاولات الهيمنة الاستعمارية على مقدرات أوطانهم يحدو ركبهم أمين الأمّة وقائدها ، الرفيق المجاهد ، عزّة إبراهيم الدوري ، حفظه الله وأيده بنصر من عنده .

والله أكبر ، وليخسأ الخاسؤون